الاستراتيجية التلميحية وآلياتها في الخطاب القرآني

-دراسة تداولية وفق القواعد الحوارية-

The hint strategy and its mechanisms in the Qur'anic discourse

-Pragmatic study according to conversational rules-

سليمة بوغرارة*

جامعة باتنة 1

(مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة)

salimabougherara1990@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022-10-10 تاريخ القبول: 2022-02-20

ملخص:

تعدّ الاستراتيجية التلميحية من أهم أنواع الاستراتيجيات التخاطبية التي يتوخاها المرسل بغية تحقيق أهدافه التواصلية، وتسعى هذه الورقة البحثية إلى تحديد آليات هذه الاستراتيجية (التلميحية) في الخطاب القرآني وفق القواعد الحوارية التداولية التي وضعها صاحب نظرية الاستلزام الحواري، وقد أريد بهذه القواعد أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن الإفادة وتبلغ الغاية في الوضوح، حيث يتم من خلالها تحديد آليات الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم، إذ يستثمر المتكلم كفاءته التداولية عند إنتاج خطابه باستعمال الاستراتيجية التلميحية مدركا أن هناك طرقا عديدة لتقول شيئا ما وأنت تعني به شيئا آخر، فما المقصود بالاستراتيجية التلميحية؟ وكيف يتم الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم في الخطاب القرآني؟ وما الآليات التي تيم الاعتماد عليها في أثناء عملية الانتقال؟

الكلمات المفتاحية: استراتيجية؛ تلميح؛ تداولية؛ قواعد حوارية.

Abstract:

The hint strategy is one of the most important types of conversational strategies that the speaker employs to achieve his goals, This research aims to study the hint strategy in the Qur'anic discourse, Based on pragmatics conversational rules, These rules laid down by the founder of the theory of conversational implicature, and these rules try to control the dialogue in order to convey the intent and achieve the conversational goals, where the research aims to determine the ways to move from the literal meaning to the hidden meaning,what is meant by hint

* - المؤلف المراسل

strategy ?How is the transition from the literal meaning to the hidden meaning ? and what are the mechanisms used in this process ?

Keywords: hint; strategy; pragmatic; conversational rules.

مقدمة:

يتمحور موضوع هذا المقال حول دراسة الاستراتيجية التلميحية في الخطاب القرآني من خلال تحديد الآليات والتقنيات التداولية التي يتم بوساطتها الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم، وذلك وفق القواعد الحوارية والكفاءة التداولية، ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى ربط الدرس التداولي العربي بالغربي، وذلك من خلال تحديد ركائز القوى الإنجازية المصاحبة للأساليب القرآنية، وبيان كيفية الانتقال من القوة الحرفية إلى القوة المستلزمة في أكثر الخطابات العربية قداسة وبيانا، أي الخطاب القرآني للبرهنة على السبق العربي في وطء هذا المجال الاستعمالي عن طريق الدمج بين الملاحظة العربية للظاهرة، والتحليل الغربي الغرايسي لها، فالقرآن الكريم غني بالأساليب التي تخرج عن معانيها الأصلية إلى أخرى يحددها السياق، ولتحقيق الهدف المرجو، لابد من الإجابة عن الإشكالية التالية: ما المقصود بالاستراتيجية التلميحية؟ كيف يتم الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم في القرآن الكريم؟ وما الآليات التي يتم الاعتماد عليها في أثناء عملية الانتقال؟ وتجدر الإشارة إلى أنّ موضوع المقال يتكئ في المنزلة الأولى على المنهج التداولي الذي يتماشى مع طبيعة الموضوع ومتطلباته لما يتمتع به من قدرة على إضاءة مختلف جوانبه.

وللإجابة عن هذه الإشكالية اتخذ البحث الصورة التنظيمية التالية: مقدمة- الجهاز المفاهيمي لمصطلحي التداولية والخطاب- مفهوم استراتيجية الخطاب- الاستراتيجية التلميحية والاستلزام الحواري- الاستراتيجية التلميحية في الخطاب القرآني-الخاتمة.

1- الجهاز المفاهيمي لمصطلحي التداولية و الخطاب:

إذا كان البحث عن المصطلح قد لا يقدم للدرس اللغوي الحديث شيئا ذا أهمية عدا أنّه يضع يد الباحث على التاريخ الأول لميلاد المصطلح، فإنّ الموضوعية العلمية تفرض على الباحثين ضرورة تأطير البحث تأطيرا علميا دقيقا، لذلك لابد من تحديد مفهوم مصطلح التداولية ومصطلح الخطاب:

1.1- مفهوم التداولية:

جاءت التداولية كرد فعل منهجي منظم على الصرامة البنيوية الزائدة في التحليل اللغوي والقائمة على مبدأ انغلاق النص، فقد أنصف العناصر السياقية في الوقت الذي عجز فيه الطرح البنيوي لأسباب إبستيمولوجية ومعرفية عن الإجابة عن تلك الإشكالات التي طرحها واقع البحث منذ ميلاد كتاب دوسوسير Ferdinand de Saussure (1913-1857)، فقد تكشف زيف ما ذهب إليه النموذج البنيوي من انغلاق «النص واقتصار التحليل على العلاقات الداخلية في الممارسات الفعلية للتعامل مع النصوص، إذ لا يمكن لأحد أن يمضي إلى النهاية في فحص البنية دون أن يجد نفسه خارجها بأكثر من معنى، وذلك من حيث هي نسق يفضي حضوره إلى غيابه، بالقدر الذي تفضي دواله إلى مدلولات واقعة في العالم، وبالقدر الذي تتكشف به البنية عن نص متناص ينطوي في داخله على ما يشيره إلى خارجه»[1]، وعن عمد، تخلت اللسانيات البنيوية عن البحث فيما وراء الكينونة اللغوية الضيقة بمفهومها البنيوي الذي يركز على الشكل ويقصي الإنجاز اللغوي، وارتدت بذلك ثوب العلم الصوري المغلق ذي الإجراءات الداخلية البحتة وسارت على ملّة المنهج الميت للتواصلية اللغوية بإقصائها لأحوال المخاطب والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب، واستبعاد الدلالة جوهر اللغة الإنسانية ومناط التواصل اللغوي، ورغم أنّ (تشومسكي)Noam Chomsky (1928) قد فتح باب الدلالة وتحدث عن البنية السطحية والبنية العميقة والإنجاز والملكة اللسانية- هذه الأخير التي نقدها (هايمس) Dell hymes لأنّها وصفت اللغة بمعزل عن حالات استعمالها في الواقع الاجتماعي - فإنّ هذه الثغرة لم تسد كليا إلاّ بعد ظهور التداولية والتيارات الوظيفية المنبثقة عنها أو المتأثرة بها.[2]

ومصطلح التداولية مأخوذ من الجذر اليوناني (pragma) ومعناه الفعل (Action)، ثمّ صارت الكلمة بفعل اللاحقة تطلق على كل ماله نسبة إلى الفعل أو التحقيق العملي، ويقابل لفظ التداولية في اللغة الفرنسية مصطلح pragmatique الذي يحمل معنى المحسوس

---

[1] بلبع عيد، (2005م)، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس ، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع66، ص 50.

[2] ينظر: صحراوي مسعود، (2008م)، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط3، دار التنوير، الجزائر، ص 16-19.

والملائم للحقيقة، في حين يدل مصطلح pragmatic الإنجليزي في الغالب على ماله علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية.[3]

وكأيّ علم حديث النشأة لا تزال التداولية غامضة الملامح والحدود، الأمر الذي دفع المؤلفين إلى الإحجام عن إعطاء تعريف محّدد لها، وليس هذا فحسب، فقد نعتها غير واحد بأنّها سلّة مهملات، وإن شئت فقل جرابا جديدا توضع فيه الأعمال الهامشية التي أثارتها بعض الاختصاصات كاللسانيات وعلم الاجتماع وعلم النّفس الاجتماعي وعجزت عن معالجتها معالجة مرضية[4]، وعموما فالاتفاق حول مفهوم موحد للتداولية يبدو من الصعوبة بمكان، ولكن سنحاول في هذا المقام الوقوف عند أهم التعريفات التي اعتمدها الدارسون، إذ شكل مصطلح التداولية –بمفهومه الحديث- الذي وضعه (شارل موريس) Charles Morris سنة1938م المحاولة الأولى لتعريف التداولية مكملا بها الضلع الثالث لمثلثه الشهير حين قسم علم العلامات إلى ثلاثة فروع:(علم التراكيب syntactics- علم الدلالة semantics ـ التداولية)، معرّفا إياها بأنّها علم يعالج« العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات» [5]؛ أي أنّها تُعنى بدراسة علاقة العلامات بمستخدميها ومعالجة العلاقات بين المتكلم والمخاطب وعلاقتهما بسياق الاتصال، وإن شئت فقل دراسة كيفيات وطرق استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة[6].

إنّها –على حد تعبير (الجيلالي دلاش)- «تخصص لساني يدرس كيفية استخدام النّاس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك

---

[3] ينظر: بلاشيه فيليب، ترجمة حباشة صابر، (2007م)، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ط1، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ص 17.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص17-18.

[5] أرمنيكو فرانسواز، (1987م)، المقاربة التداولية، ترجمة علوش سعيد، ط1، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ص12.

[6] ينظر: صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص03.

الخطابات والأحاديث»[7] ليصل في النهاية إلى نتيجة مفادها أنّ التداولية إنّما هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية[8]، فالتداولية هي ذلك الفرع اللغوي الذي يركز في دراسته على الجوانب السياقية، وينظر إلى اللغة كظاهرة خطابية تواصلية واجتماعية ويحاول البحث عن الطريقة التي من خلالها يتوصل المخاطب إلى مقاصد المتكلم؛ فقول القائل مثلا (أنا عطشان) قد يعني (أحضر لي كوبا من الماء)، فهو ليس بالضرورة إخبارا بأنّه عطشان، فالمتكلم كثيرا ما يعني أكثر مما تقوله كلماته، ولهذا تحاول التداولية جاهدة إيجاد أجوبة للأسئلة التي تطرح نفسها: «ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟...فمن يتكلم إذن؟ وإلى من يتكلم؟ ومع من يتكلم؟ من يتكلم ولأجل من؟» [9]، لهذا يعتبر (مسعود صحراوي) أنّ قضية التداولية هي «إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرّف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، فهي ذلك النسق المعرفي الاستدلالي العام الذي يعالج الملفوظات ضمن أحوالها التخاطبية»[10] أي هي علم استعمال اللغة.

إنّ قوام التداولية هو التواصل بوصفة العمود الفقري لها، فهي تعنى بوصف العلاقات القائمة بين المتكلم والمخاطب في إطار عملية التواصل، كما تعنى بالحدث اللغوي بوصفه تعابير مدرجة في عملية التخاطب، وكل هذا يفترض مسبقا وجود الأبعاد التركيبية والدلالية.[11].

2.1- مفهوم استراتيجية الخطاب:

---

[7] دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة يحياتن محمد، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص01.

[8] ينظر: المرجع نفسه.

[9] أرمنيكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ص12.

[10] صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص25.

[11] ينظر: أرمنيكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ص16-20.

إنّ هذا المصطلح مؤلّف من لفظين هما الاستراتيجية والخطاب، ولكل لفظ مفهومه المستقل، فمفهوم الاستراتيجية عام، أما مفهوم الخطاب فهو خاص، وهو ما يستوجب تحديد دلالات كل منهما؛ لنتمكن من التأليف بين المفهومين:

أ-الاستراتيجية: يقصد بها التخطيط وتحديد الوسائل التي يجب الأخذ بها لتحقيق الأهداف البعيدة، وهي فن وعلم وضع خطط الحرب وإدارة العمليات الحربية، ثم سرى المصطلح على أية عملية تخطيط منفذة بدقة، لها أهداف وغايات محددة وتستعمل فيها أدوات وآليات محددة، فهي «طرق محددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة والتحكم بها» [12]، وبناء عليه يتضح أن الاستراتيجية خطة في المقام الأول للوصول إلى الغرض المنشود، فهي ذات بعدين أولهما: البعد التخطيطي وهذا البعد يتحقق في المستوى الذهني، وثانيهما: البعد المادي الذي يجسد الاستراتيجية لتتبلور فيه فعلا[13].

ب-الخطاب Discours: ينحدر مصطلح الخطاب من الأصل اليوناني(Discursus) المشتق من الفعل(Discurrere) الذي يعني الجري هنا وهناك والجري ذهابا وإيابا، وهو فعل يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي وإرسال الكلام والمحادثة الحرة والارتجال.[14]

إنّ النقلة الألسنية الكبيرة للخطاب نجدها عند (بنفنست) الذي حاول تجاوز الإطار الشكلي للألسنية البنيوية وعرّف الخطاب بالنظر إلى ما يميزه داخل إطار السياق الاجتماعي بغض النظر عن الاعتبار الكمي، فقد يعدو الخطاب جملة واحدة أو أكثر، فلا فرق بين هذه المستويات النحوية في الخطاب؛ «لأنّ الملفوظ منظور إليه من جهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، والمقصود بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين وهذا الفعل هو عملية التلفظ، وبمعنى آخر يحدد (بنفنست) الخطاب بمعناه الأكثر

---

[12] الشهري عبد الهادي بن ظافر، (2004م)، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، ص53.

[13] ينظر: المرجع نفسه.

[14] ينظر: حجازي عبد الرحمن،(2005م) ،الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي دراسة أسلوبية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر ، ص19.

اتساعا بأنّه كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما»[15]، فهو الإنجاز القولي والفعلي للخطاب.

أما (طه عبد الرحمن) فيقول: «حدّ الخطاب أنّه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا» [16]، وهذا يعني أنّ حقيقة الخطاب لا تقوم في مجرد النّطق بألفاظ مرتبة على مقتضى مدلولات محدّدة، وإنّما حقيقته كامنة في كونه ينبني على قصدين اثنين: أحدهما يتعلق بالتوجيه إلى الغير، والثاني يتصل بإفهام هذا الغير، أما القصد الأول فمقتضاه أنّ المنطوق به لا يكون خطابا حقا حتى تحصل من الناطق إرادة توجيهه إلى غيره، وأما القصد الثاني فلا يكون المنطوق به خطابا حقا حتى تحصل من الناطق إرادة إفهام الغير، وبهذا يتبين أنّ حقيقة الخطاب ليست الدخول في علاقة بألفاظ معينة، بقدر ما هي الدخول في علاقة مع الغير، بمعنى أنّ الذي يحدد ماهية الخطاب إنّما هو العلاقة التخاطبية، وليس العلاقة اللفظية وحدها، فلا خطاب بغير تخاطب، ولا متكلم من غير أن تكون له وظيفة المخاطِب ، ولا مستمع من غير أن تكون له وظيفة المخاطَب[17]، فالخطاب «إنتاج لغوي منظور إليه في علاقته بظروفه المقامية وبالوظيفة التواصلية التي يؤديها في هذه الظروف»[18].

يعمد الناس إلى استعمال اللغة بكيفيات منظمة ومتناسقة تتناسب مع مقتضيات السياق، ويتجلى هذا التنظيم عند التلفظ بالخطاب في ما يسمى باستراتيجية الخطاب وهذا يعني أن الخطاب المنجز يكون خطابا مخططا له بصفة مستمرة وشعورية، ومن هنا يتحتم على المرسل أن يختار الاستراتيجية المناسبة التي تستطيع أن تعبر عن قصده وتحقق هدفه بأفضل حالة، ففعل الاعتذار مثلا يتحقق عبر خطابات كثيرة، كل خطاب منها يمثل

---

[15] ينظر: الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص37.

[16] عبد الرحمن طه،(1998م)، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص215.

[17] ينظر: المرجع نفسه.

[18] المتوكل أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، المغرب، ص17.

استراتيجية من خلال التمايز بين بعضها البعض، والفيصل في استحسان إحداها يعود إلى اعتبار السياق الذي ينجز المرسل خطابا فيه[19].

وعليه، يمكن تعريف استراتيجية الخطاب بأنها «عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابة من أجل تنفيذ إرادته والتعبير عن مقاصده التي تؤدي لتحقيق أهدافه من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعه و يستحسنه المرسل» [20]. وإذا كانت الخطابات هي إنجاز للأفعال اللغوية في الأساس بما في ذلك تحديد الإشاريات و التعبير عن المقاصد وتحقيق الأهداف، فإن كيفية إنجازها وتوظيفها في السياق هو ما يدفعنا إلى دراسة اللغة في استعمالها دراسة تداولية تعنى بكيفية إنتاج الخطاب بوصفها محور استراتيجياته.

ولابد من الإشارة إلى أنه قد تم تصنيف أنواع الاستراتيجيات التخاطبية في الدراسات التداولية وفق ثلاثة معايير هي:[21]

1- المعيار الاجتماعي: يتعلق بالعلاقة بين طرفي الخطاب، وعن هذا المعيار تفرعت استراتيجيتان هما: الاستراتيجية التضامنية،و الاستراتيجية التوجيهية.
2- معيار شكل الخطاب: يتعلق بشكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المرسل، وعن هذا المعيار تفرعت الاستراتيجية التلميحية.
3- معيار هدف الخطاب: وعنه تفرعت الاستراتيجية الحجاجية.

2- الاستراتيجية التلميحية في القرآن الكريم:

سنحاول في هذه الجزئية تحديد مفهوم الاستراتيجية التلميحية، واستخراج المعاني المستلزمة في القرآن الكريم وفق القواعد الحوارية التداولية:

1.2- الاستراتيجية التلميحية (نظرية الاستلزام الحواري):

[19] ينظر: الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص56

[20] المرجع نفسه، ص62

[21] مقبول إدريس، (2014م)، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج8، ع2، ص543.

هي الاستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق[22]، حيث يرى (عبد القاهر الجرجاني) (ت417ه) أنّ الكلام يقسم إلى ضربين: «ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد...وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثمّ تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض»[23].

ويعدّ (غرايس) من أهم الباحثين الذين درسوا هذه الاستراتيجية من خلال نظريته المنطقية المعروفة بالاستلزام الحواري، والاستلزام الحواري ظاهرة لصيقة باللغات الطبيعية، وتمثل إحدى خصائصها الأساسية التي تؤسس لنوع من التواصل يمكن وسمه بالتواصل غير المعلن (الضمني)، بحجة أنّ المتكلم يقول كلاما ويقصد غيره، كما أنّ المستمع يسمع كلاما ويفهم غير ما يسمع، ومن ثمّة فإنّ الكثير من العبارات اللغوية إذا روعي ارتباط معناها بسياقات إنجازها لا تتحدّد فقط فيما تدل عليه صيغتها الصورية، لهذا يجب إيجاد تأويل ملائم يفسر الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم، فعبارة (هل ترافقني إلى مراكش؟) مثلا في سياق معيّن يخرج معناها من الاستفهام والسؤال إلى الدعوة، فكثيرة هي الجمل التي تحمل قوة إنجازية غير قوتها الحرفية[24].

وهذا التأويل لا يتم بشكل اعتباطي، وإنّما تؤطره وتوجهه الظروف المحيطة بالخطاب من متكلمين وسياق ومقاصد وما إلى ذلك من العناصر المساهمة في بلوغ المعنى المستلزم، وانطلاقا من ذلك يعرّف الاستلزام الحواري بأنّه«عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنّه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه و لا يكون جزءا مما تعنيه

---

[22] الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص370.

[23] الجرجاني ، (1994م)،دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح محمد عبده، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.، ص262.

[24] ينظر: أدراوي العياشي، (2011م)، الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، ط1، دار الأمان، الرباط، المغرب، ص07-08.

الجملة بصورة حرفية»[25]، فإذا خاطب أحد صديقه وهما على مائدة الطعام (هل تستطيع أن تناولني الملح؟) فغرضه ليس الاستفهام كما يصوره ظاهر اللفظ ونمط الجملة، بل الالتماس، فلا يتوقع من مجرى الحديث أن يتلقى المخاطَب جوابًا من المتكلم بالإثبات أو النفي، وإنّما أن يسارع إلى مناولته الملح؛ ذلك أنّه لا وجود لتناسب طردي بين نمط الجملة وقوتها الإنشائية رغم تعالقهما في أحايين كثيرة[26].

إنّ مدار الفهم والإفهام قائم على العلاقة التواصلية بين المتحاورين، فما التحاور إلّا إلقاء جانبين لأقوال معينة بغرض إفهام كل منهما الآخر مقصودا معينا، ولمّا كان ذلك يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال، لزم أن تضبط هذه الأقوال بقواعد ضمنية تحدّد وجوه فائدتها التواصلية[27] وتقوم على تعاون المتحاورين لبلوغ المراد، وهو ما أثبته (غرايس) الذي بنى مفاهيمه على نظرية خاصة في كيفية استعمال اللغة، فالممارسات اللغوية نشاط عقلاني يهدف إلى التعاون بين المتخاطبين، لذلك لابد من افتراض توجيهات أو قواعد تصدر عن اعتبارات عقلية تتدبر السلوك الحواري التواصلي وتجعله فعالا وناجحا، وهذه التوجيهات والقواعد تسير بهدي مبدأ شامل أطلق عليه (غرايس) اسم (مبدأ التعاون) perative principale .[28]

ظهر هذا المبدأ مع مقال (غرايس) الذي ألقاه سنة 1967 بعنوان (المنطق والتخاطب)، وصيغته: «ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه أو الاتجاه الذي يجري فيه الحوار»[29]. ويقرّ (غرايس) بوجود قواعد تفرض على المتحاورين«التعاون من أجل تحقيق الهدف المرجوّ من الحديث الذي

---

[25] إسماعيل صلاح، (2005م)، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ص78.

[26] ينظر: ملاوي صلاح الدين، (2009م)، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع:4، ص21.

[27] ينظر: عبد الرحمن طه، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ص237.

[28] ينظر: فاخوري عادل فاخوري، (1989م)، الاقتضاء في التداول اللساني، عالم الفكر، مج20، ع3، ص146.

[29] ينظر: إسماعيل صلاح، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص13.

دخلا فيه، وقد يكون هذا الهدف محدّدا قبل دخولهما في الكلام أو يحصل تحديده أثناء الكلام، ويؤسس مبدأ التعاون داخل التبادل التعاوني حول مقاصد المشاركين، وهذه المقاصد ليست صريحة في الواقع بين أطراف التبادل، والحال أنّها عبارة عن عناصر خفية تعتمد في شكل اتفاق ضمني من قبل المتخاطبين الذين يسهرون على مجرى التواصل الحسن بموجب لعبة ذكية من الاستنتاجات، وقد قسم (غرايس) هذا المبدأ الحواري العام إلى أربع قواعد حوارية conversational naixims: (الكم_الكيف_الإضافة_الجهة).[30]

2.2 الاستراتيجية التلميحية في القرآن الكريم:

1- قاعدة الكم Ouantity: تتعلق بكمية المعلومات الواجب توفيرها وتؤدى بقاعدتين أساسيتين هما:

- لتكن مشاركتك محتوية الحد المطلوب من المعلومات.
- لتكن مشاركتك غير محتوية حدا يفوق المطلوب من المعلومات.

مثال ذلك قوله تعالى ﴿وقُلنَا يا آدم اسكُن أَنتَ وزوجُك الجَنَّة وكُلا منها رَغدا حيث شئتمَا ولا تَقربا هذه الشَّجَرَةَ فَتكُونَا من الظّالمين﴾ البقرة: [35]. المعنى الحرفي الأصلي لفعل الأمر (كلا) في هذه الآية هو وجوب الأكل من ثمار الجنّة، لكن حين«نتحدث عن المعنى الحرفي لجملة ما فهذا يعني أننا نعزل الجملة كنمط في استقلال تام عن كل مقابلة في خطاب ما، و لا يكون المعنى وظيفة إلاّ في حدود الكلمات المكونة له وتلاحقها النحوي و لا يهم من يتلفظ بالجملة وفي أي ظروف...وإذا ما أخذنا في اعتبارنا هوية المتكلم ومقصده والوضعية التي هو عليها نرى بأنّ المعنى يتعدل ويتدقق ويغتنى، من هنا نتجاوز المعنى الحرفي إلى معنى أكثر اكتمالية يسمح بإمكانية تحديد الحقيقة»[31].

وعليه يمكن القول: إنّ هذه الآية جاءت في سياق الحديث عن قصة خلق سيّدنا (آدم) -عليه السلام- الذي جعله الله خليفته في الأرض، وعلّمه الأسماء كلّها، وأمر الملائكة

---

[30] ينظر: دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص33.

[31] أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ص26.

بالسجود له، وأسكنه الجنّة، وأمره هو وزوجه بالأكل من ثمارها قائلا: (كلا منها رغدا حيث شئتما)، أي كلا من ثمار الجنّة من أي مكان أردتما منها، والقرينة اللغوية (حيث شئتما) إطلاق كلي، حيث أبيح لهما الأكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل، ولم يحظر عليهما بعض الأكل و لا بعض المواضع الجامعة للمأكولات، ويرى (أبو السعود)(ت982ه) أنّ هذه القرينة اللغوية ساهمت في إخراج الأمر (كلا) إلى معنى الإباحة وهو ما يفسره (غرايس) بخرق قاعدة الكم؛ لأنّ المعلومات المضافة قد ساهمت في توجيه الأمر إلى معنى غير المعنى الظاهر.[32].

قال تعالى ﴿واتَّبَعُوا مَا تَتلُوا الشَّيَاطينُ على مُلك سُلَيمان وما كفر سُليمان ولكن الشَّياطين كَفَرُوا ويُعَلّمون النَّاس السّحر وما أُنزل على الملَكَين ببابل هَارُوت ومَارُوت وما يُعلمَان من أحد حتى يَقُولا إنَّما نحن فتنَة فلا تَكفُر﴾ البقرة: [102]، لقد خرجت صيغة النهي (لا تكفر) عن دلالتها الأصلية (التحريم) إلى معنى (الوعظ والإرشاد) ويرجع ذلك حسب تحليل (غرايس) إلى خرق القاعدة الأولى من مبدأ التعاون، حيث استعمل المخاطِب (هاروت وماروت) معلومات تفوق الحد المطلوب (إنّما نحن فتنة) الأمر الذي أدى إلى الإخلال بقاعدة الكم، وبالتالي خروج النهي إلى معنى الوعظ والإرشاد[33]، نعم إنّه المعنى المستلزم الذي يتطلب استخراجه فك وابل من الرموز، إذ«يتكبد الشخص الذي يفك الترميز فائضا من العمل التأويلي...ومع أنّ الأسرار تكتنف مفاعيله إلاّ أنّها تبقى أكيدة نظرا إلى كونها تنفرد في القدرة على تفسير واقع أننا لا نقصد دائما، مع أنّ ذلك كان ليكون أسهل على الجميع أن نقول بشكل مباشر»[34].

قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوح ابنَه وكان في مَعزل يَا بُنيَّ اركَب مَعَنا ولا تَكن مَع الكَافرين﴾ هود:[42]. جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن قصة سيدنا نوح، فقد نادى سيدنا نوح ابنه: يا بني إرشادا له ورفقا به، ونلاحظ أنّ النداء قد خرج عن دلالته الأصلية إلى معنى

---

[32] ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق عطا عبد القادر أحمد، ج1، مطبعة السعادة، الرياض، السعودية، ص137-158.

[33] ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج1، ص228.

[34] أوريكيوني كاترين كيربرات، المضمر،ترجمة خاطر ريتا،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص19.

النصح والإرشاد نتيجة إضافة جملة (ولا تكن مع الكافرين)، وهي معطوفة على جملة (اركب معنا) لإعلامه بأن إعراضه عن الركوب يجعله في صف الكفار، إذ لا يكون إعراضه عن الركوب إلا أثرا لتكذيبه بوقوع الطوفان، وقوله (اركب معنا) كناية عن دعوته إلى الإيمان بطريقة العرض والتحذير[35] فأي «تواصل يكون تصريحيا بشكل جزئي ويكون ضمنيا بشكل جزئي أيضا، وكل دلالة تنشأ في قسم منها على معطيات ضمنية، وغالبا ما يبدو في الواقع نصيب الضمني أوفر من نصيب التصريحي...إنّ الضمني موجود حيثما نظرت سواء تعلق الأمر بالمعنى الحرفي أو بالقيمة الأخلاقية أو بالأعمال غير المباشرة أو برؤية للعالم يختص بها لسان ما، ذلك أننا لا نقول كلّ شيء، كما أننا نحتاج إلى الدخول في محادثات اجتماعية كي ننتج دلالة»[36].

مما سبق يمكن القول:«لا تكون وحدات المحتوى الصارخة أم المتكتمة، الخجولة أم المحققة، مزودة كلّها بدرجة الجلاء نفسها ولا بقوة التفعيل ذاتها، فالبنى الدلالية هي مجموعة مشوشة الوضوح»[37]،ولكن نستطيع أن نخفف من شدة هذا التشويش إذا«خطر في بالنا بادئ ذي بدء بأنّ المرسل هو في الوقت عينه المرسل إليه الأول لرسالته الكلامية...و تحتل نية المرسل الدالة مكانا مركزيا في النموذج التأويلي كما نتصوره، مادام أنّها تشكل موضوع محاولة إعادة بنائه التي يضطلع بها المحاور الذي لا يضع نفسه مكان المتكلم فحسب عندما يؤول قولا ما، بل إنّه يحاول ضمن نطاق الممكن أن يتقمص نفسية المتكلم»[38].

2- الكيف Ouality: تتعلق بالقاعدة العامة «حاول أن تكون مشاركتك صادقة» وتحتوي على قاعدتين:

- لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب.
- لا تقل ما تفتقر إلى دليل واضح عليه.

---

[35] ابن عاشور،(1984م)، تفسير التحرير والتنوير، ج12، الدار التونسية للنشر، ص76.

[36] بلانشيه فيليب، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص144-145.

[37] كيربرات أوريكيوني كاترين، المضمر، ص547.

[38] المرجع نفسه، ص562-563.

مثال ذلك قوله تعالى ﴿ووصَّى بها إبرَاهيمُ بَنيه ويعقُوبُ يا بَنِيَّ إنَّ الله اصطَفَى لَكم الدّين فلا تمُوتُنَّ إلَّا وأنتم مسلمونَ﴾ البقرة: [132]. لقد جاءت هذه الآية في سياق سرد قصة سيدنا (إبراهيم)-عليه السلام- فقد وصّى بنيه بالاستمساك بالعروة الوثقى أي بالدين الإسلامي إلى آخر لحظة في حياتهم، فهو الدين الذي اصطفاه واختاره لهم المولى، فقال لهم (لا تموتنَّ إلاّ وأنتم مسلمون)، يبدو أنّ صيغة النهي التي استعملها سيدنا (إبراهيم)-عليه السلام- لا تعبر عن المعنى المقصود حقيقة، فهي ليست صريحة بالمعنى الغرايسي، فالمتكلم لا ينتظر من مخاطَبه أن يلتزم بترك ما نهي عنه، بقدر ما يسعى إلى شيء آخر، إذ كيف للمخاطِب أن ينهى مخاطَبه عن أمر يعلم استحالته؟ وكيف لسيدنا (إبراهيم)-عليه السلام- أن يأمر بنيه بعدم الموت وهو يعلم أنّ موضوع الحياة والموت أمر خارج عن الطاقة البشرية، وليس لأحدهم أن يموت بحالة دون أخرى؟[39].

لا يمكن للمخاطَب أن يجد إجابة لهذا السؤال إلاّ إذا حاول تأويل هذا الكلام انطلاقا من القواعد الغرايسية، فقد خرجت صيغة النهي (لا تموتنّ) عن دلالتها الأصلية (التحريم) نتيجة خرق قاعدة الكيف؛ لأن المخاطِب لم يدلِ بما يجول في خاطره صراحة ولجأ إلى تبطين مقصوده ليؤدي بذلك معنى زجر الأبناء والمبالغة في زجرهم ونهيهم عن مفارقة دين الإسلام وملة (إبراهيم) في جميع أوقات حياتهم، وهي كناية عن ملازمتهم للإسلام مدة حياتهم؛ لأنّ الحي لا يدري متى يأتيه الموت، فإن فارقوه وأتتهم المنية وهم على غير الدين الذي اصطفاه لهم الله ماتوا وربهم ساخط عليهم[40].

قال تعالى﴿قَالَ لَهُ صَاحبُهُ وهُوَ يُحَاوره أَكَفَرتَ بالّذي خَلَقَكَ من تراب ثمَّ من نطفَة ثمَّ سَوَّاكَ رَجلا لَكنَّا هو الله ربّي ولا أشرك بربّي أَحَدا﴾. الكهف:[37-38]. لقد ضرب الله مثلا للمشركين والمؤمنين بمثل رجلين كان حال أحدهما معجبا وحال الآخر بخلاف ذلك، فكانت عاقبة الأول خسارة، وكانت عاقبة الآخر نجاحا، ليظهر للفريقين ما يجره الغرور والإعجاب والجبروت إلى صاحبه من الحسرة والندم، وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنن الله في العالم من صلاح ونجاح ، ويبدو أنّ «الاستفهام في قوله(أكفرت بالذي خلقك) مستعمل في

---

[39] ينظر: الطبري، (1994م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج:1، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص395.

[40] ينظر: المرجع نفسه، ص30.

التعجب والإنكار وليس على حقيقته، لأن الصاحب كان يعلم أنّ صاحبه مشرك بدليل قوله له(ولا أشرك بربي أحدا) » [41] ويحمل النداء دلالتين: الأولى حرفية، والثانية مستلزمة، فالتكلم بشكل حرفي يقصد به«أن نتحدث عن أمر ما (to tell something)، في حين يراد من التحدث بشكل مضمر أن نوحي لأحد الأشخاص بالتفكير في أمر ما (to get someone to think something)، ولكن كيف السبيل إلى حمل شخص ما على التفكير في أمر لم يتم التفوه به ولم يذكر إطلاقا في القول؟ أسوة بالمحتويات البينة تكون برأينا المحتويات المضمرة مذكورة في القول بطريقة معينة ينبغي تحديدا التعرف عليها»[42].

قال تعالى﴿وَمَا تلكَ بيمينكَ يا موسَى قَالَ هي عَصَاي أَتَوَكَّأُ عَليها وأَهشُّ بها على غَنَمي ولي فيها مآرب أخرَى﴾ طة:[17-18]. أراد الله من هذه المحاورة أن يُري موسى كيفية الاستدلال على المرسل إليهم بالمعجزة العظيمة وهي انقلاب العصا حية، والهدف من هذه المحاورة هو تثبيت موسى ودفع الشك عنه، لذلك سأله عما بيده ليوقن أنّه ممسك بعصاه حتى إذا انقلبت حية لم يشك في أنّ تلك الحية هي التي كانت عصاه، والاستفهام مستعمل في تحقيق حقيقة المسؤول عنه فظاهر الاستفهام أنّه سؤال عن شيئ أشير إليه، وفي هذا إيماء إلى أن السؤال عن أمر غريب في شأنها، ولذلك أجاب موسى عن هذا الاستفهام ببيان ماهية المسؤول عنه جريا على الظاهر، وببيان بعض منافعها استقصاء لمراد السائل أن يكون قد سأل عن وجه اتخاذه العصا بيده؛ لأن شأن الواضحات أن لا يسأل عنها إلا والسائل يريد من سؤاله أمرا غير ظاهر[43] وهو ما يفسر خروج الاستفهام عن معناه الأصلي نتيجة خرق قاعدة الكيف؛ لأن المرسل طرح السؤال وهو يعلم جوابه.

فمعيار دلالة الشكل اللغوي قد يكون واحدا من صنفين: «إمّا قصدا مباشرا؛ أي أنّ القصد يتضح في الخطاب مباشرة، وإمّا قصدا غير مباشر بأن يكون المعنى مستلزما من شكل الخطاب، وبالتالي يصبح شكلا يستلزم قصدا غير المعنى الذي يدل عليه ظاهر القول

---

[41] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص322.

[42] كيربرات أوريكيوني كاترين، المضمر، ص40.

[43] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص204-205.

أو الكلام، فقد يستخدم المرسل شكلا ما بقصد تبطين مقاصده ومعانيه ويرمي من خلاله إلى أمور يتدخل سياق الخطاب في كشفها وتحديدها»[44].

3- الإضافة أو الملاءمة relation: «اجعل مشاركتك ملائمة».

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿هَا أنتُم أُولاء تُحبُّونَهم ولا يُحبُّونكُم وتُؤمنُون بالكتَاب كُلّه وإذا لَقُوكُم قَالوا آمَنَّا وإذَا خَلَوا عَضّوا عَلَيكم الأَنَاملَ من الغَيظ قُل مُوتُوا بغيظكُم إنَّ الله عَليم بذَات الصُّدُور﴾ آل عمران :[119]، جاءت هذه الآية في سياق توبيخ المؤمنين على موالاتهم للمنافقين من أهل الكتاب الذين يضمرون لهم البغضاء، وجسد التعبير القرآني هذا المعنى بالتصوير الكنائي، فقد وردت الكناية في قوله تعالى (عضوا عليكم الأنامل) وهي تعبير موجز يجسد تلك الانفعالات النفسية لهؤلاء المنافقين بهذه الحركة المادية المنفعلة، وهي عض أطراف الأصابع(الأنامل) إذا خلا بعضهم إلى بعض وهو المعنى الظاهر الذي تدل عليه هذه الحركة الكنائية، إلا أن المعنى ليس هو المقصود لذاته وإنّما المقصود ما يرتبط بهذه الحركة ويلازمها من مشاعر وانفعالات هؤلاء المنافقين تجاه المؤمنين وهو المعنى المكنى عنه بهذه الحركة،[45] «و يظهر البعد التداولي للكناية في كونها لا تدل على المعنى المباشر وإنّما تنتقل بمتلقي الخطاب إلى دلالات أخرى مستلزمة متجاوزة بذلك المعنى الحرفي للعبارة لتصل إلى المعنى المقصود، ويكون ذلك عبر السياق الاستعمالي للتراكيب، إنّها عدول عن التصريح بذكر الشيئ المباشر إلى الإيماء إليه، إلا أنّ هذا لا يعني الاستغناء التام عن المعنى المباشر، بل يظل ماثلا في التركيب اللغوي، فقد يقصد مباشرة، كما أنه يشكل دليلا وقرينة تسهم في الوصول إلى المعنى المراد عبر عمليات استدلالية يجريها المتلقي في ذهنه، يعمل فيها على الربط بين طرفي الكناية اللازم والملزوم» [46].

يعرض القرآن الكريم بالتصوير الكنائي الغيبة بوصفها مرضا اجتماعيا فتاكا يعمل على هدم الأواصر والروابط داخل المجتمع، ويدل على بشاعة الغيبة وخطورتها في صورة في غاية

---

[44] الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص07.

[45] الحياني أحمد فتحي، (2014م)، الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالتها البلاغية، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، ص128-139.

[46] الهويمل باديس، (2013م)، الملازمات بين المعاني في مفتاح العلوم للسكاكي مقاربة تداولية في ضوء نظرية الاستلزام الحواري، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ص49.

البشاعة والتنفير ليحدث الاستجابة الشعورية المقصودة، وهي الامتناع عن الغيبة في قوله تعالى ﴿يأيُّها الَّذينَ آمَنُوا اجتَنبُوا كَثيرا منَ الظَّنّ إنَّ بَعضَ الظّنّ إثم ولا تَجَسَّسُوا ولا يغتَب بَعضُكُم بعضا أيحبُّ أَحدُكُم أَن يَأكل لَحم أَخيه ميتا فَكَرهتُمُوه واتَّقُوا الله إنَّ الله تَوَّابٌ رَحيمٌ﴾ الحجرات:[12]، وبناء الكناية في قوله (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) قائم على التشبيه التمثيلي الضمني ومن ورائه يفهم المعنى المكنى عنه وهو الغيبة، حيث شبه المغتاب بشخص يعمد إلى أكل لحم آدمي، وهذه الصورة التشبيهية تداخلت مع الصورة الكنائية في نسيج فني بديع من التعبير القرآني لتجسيد المعنى المقصود وتحصيل الإستجابة المطلوبة، إذ جعلت صورة المشبه به كناية عن صفة الغيبة،[47] فالكناية هنا تقوم على جملة من الوسائط «تسهم في توسيع المسافة بين المعنى الأول والمعنى الثاني المقصود، مما يدفع المتلقي إلى إمعان الفكر والتأمل في العبارة بحثا عن المعنى المقصود عبر آليات استدلالية يقوم بها في ذهنه تعمل على ربط المعنى الأول بما يستلزمه من معان ثوان، ويتوافق مع سياق الاستعمال، فيكون المتلقي فاعلا في إنتاج الدلالة الجديدة بصورة مباشرة.. فهي تحمل مظاهر تداولية قيّمة تتمثل في الانتقال بالعبارة من الدلالة الحرفية إلى الدلالة المستلزمة، وإقناع المتلقي للخطاب بالمعنى الجديد المستلزم بجملة من الاستدلالات تظهر أكثر في الكناية البعيدة على نحو ما رأينا» [48] .

قال تعالى ﴿فمن النَّاس مَن يَقُول رَبَّنَا آتنَا في الدُّنيَا ومَا لَه في الآخرَة من خلاق﴾ البقرة: [200]. يبدأ الخطاب بفعل أمر ويفهم منه أنّ المرسل(النّاس) أنجز فعلا طلبيا، فهل يمكن أن نعتبر ما قام به أمرا؟. للحكم على ذلك يلزم أن نحتكم إلى نظام اللغة مع معطيات السياق، فالخطاب حسبما يظهر من نظام اللغة يفيد الأمر، فلم يخالف المرسل سنن اللغة العربية لا في تركيب الملفوظ، ولا في انتقاء الألفاظ الدالة على قصده، لكنّ معطيات السياق لا تؤكد ذلك إذ يحتل المرسل (النّاس) درجة أدنى من درجة المرسل إليه (الله) وذلك حسب تصنيف الرتب في درجات تنظم العلاقة، وتمارس درجة العلاقة بين طرفي الخطاب دورها في اختيار

---

[47] الحياني أحمد فتحي، الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالتها البلاغية، ص164-165.

[48] الهويمل باديس، الملازمات بين المعاني في مفتاح العلوم للسكاكي مقاربة تداولية في ضوء نظرية الاستلزام الحواري ، ص48-49.

استراتيجية الخطاب، فمرتبة المرسل دون مرتبة المرسل إليه في الواقع، فيظهر عدم التناسب والتلاؤم بين دلالة لغة الخطاب الشكلية وبين معطيات السياق[49].

ومن هنا لا يمكن أن نعتبر هذا الخطاب مندرجا تحت الأوامر التي يطلب فيها المرسل من المرسل إليه أمرا، فالأمر هو «قول المرء لغيره (افعل) ولكن الفقهاء قالوا هذه الكلمة إذا خاطب المرء بها من هو مثله أو دونه فهو أمر، وإذا خاطب بها من هو فوقه لا يكون أمرا، لأنّ الأمر يتعلق بالمأمور، فإن كان المخاطَب ممن يجوز أن يكون مأمور المخاطِب كان أمرا، وإن كان لا يجوز أن يكون مأموره لا يكون أمرا كقول الداعي: اللهم اغفر لي وارحمني يكون سؤالا ودعاء لا أمرا»[50]. ولأن الطلب في الآية جاء من الأدنى (النّاس) إلى الأعلى (الله) فقد أخلّ ذلك بقاعدة الإضافة، إذ لا يعقل أنّ يأمر الناس الله على وجه الإلزام فذلك غير ملائم، وعليه اقتضت المسألة خروج الأمر إلى معنى الدعاء.

4- الجهـة manner: لا تهتم كسائر القواعد بما هو مقول أو منطوق، بل بكيفية قوله ونطقه، قاعدتها العامة «كن واضحا» وعنها تتفرع القواعد التالية:

- تجنب الإبهام في التعبير.

- تجنب اللّبس.

- تجنب كل إطناب غير مفيد.

_ كن منظما.

مثال ذلك قوله تعالى ﴿وَاقتُلوهُم حَيث ثَقفتمُوهُم وأَخرجُوهُم من حَيث أَخرَجُوكُم والفتنَةُ أَشَدُّ منَ القَتل ولا تقَاتلُوهُم عندَ المَسجد الحَرَام حَتَّى يقَاتلُوكُم فيه فإن قَاتَلوكم فاقتُلُوهُم كذلك جَزاء الكَافرين﴾ البقرة: [191]. يحمل فعل الأمر (أخرج) معنيين: الأول حرفي صريح(الوجوب)، والثاني مستلزم(التهديد)، وأن تقول قولا صريحا أي أن تحترم بعض

[49] ينظر: الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص115-116.

[50] السرخسي، (1993م)،أصول السرخسي ، حققه: الأفغاني أبو الوفاء، ج1،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص11.

القواعد«وهذه القواعد ليست خارج النشاط اللغوي، إنّها هي ذاتها ذلك النشاط...إنّ قواعد لعبة الشطرنج مثلا هي قواعد تأسيسية؛ لأنّها تخلق اللعبة ذاتها، فإذا لم نتبعها فإننا لا نلعب الشطرنج بل نقوم بشيء آخر»[51]، ومن ثمة فإنّ عملا لغويا تصريحيا لا يكون كذلك إلا إذا احترمت هذه القواعد، فإن قمت بخرقها، وجدت نفسك تتجاوز المعنى الصريح إلى المستلزم، وهذا ما حدث في الآية الكريمة، فقد خرج فعل الأمر عن معناه الأصلي (الوجوب) إلى معنى مستلزم (التهديد) نتيجة خرق القاعدة الرابعة من مبدأ التعاون وهي قاعدة الجهة التي تقتضي الإيجاز، فالمخاطِب (الله) لم يقل (مكة) وعنوة اختار جملة (من حيث أخرجوكم) بهدف تأدية معنى التهديد[52].

قال تعالى ﴿بَديعُ السَّمَاوَات والأرض وإذَا قَضَى أَمرا فإنَّماَ يَقُولُ لَهُ كُن فيكُونُ﴾ البقرة: [117].جاءت هذه الآية في سياق الرد على النصارى، وكذا من أشبههم من اليهود والمشركين الذين جعلوا الملائكة بنات الله، فكذّبهم الله في ادعائهم وقولهم (لله ولد) فسبحانه وتعالى تقدّس وتنزّه عن ذلك، بل له ملك السماوات والأرض، إذا قدّر أمرا وأراد كونه فإنّما يقول له كن فيكون وفق ما أراد، وأشار المفسرون إلى أنّه كثيرا ما يلتبس عليهم فهم معنى قوله تعالى(كن فيكون)، يقول (الطبري)(ت711ه): «وما معنى قوله (وإذا قضى أمرا فإنّما يقول له كن فيكون)؟ وفي أي حال يقول للأمر الذي يقضيه (كن)؟ أفي حال عدمه -وتلك حال لا يجوز فيها أمره ، وإذا كان محالا أن يأمر إلاّ المأمور، فإذا لم يكن المأمور استحال الأمر، وكما محال الأمر من غير آمر، فكذلك محال الأمر من آمر إلاّ لمأمور- أم بقول ذلك في حال وجوده؟ وتلك حال لا يجوز أمره فيها بالحدوث؛ لأنّه حادث موجود، ولا يقال للموجود كن موجودا»[53]،

هذا بالنسبة للمفسرين، أما بالنسبة "لغرايس" فالأمر مقصود غايته إيصال معنى معين؛ لأنّ المتكلم يعلم أنّ مخاطَبه قادر على فك شفرات المعنى اعتمادا على مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه، فرغم التباس المعنى على المخاطَب، إلا أنّه أدرك أنّ خروج الأمر إلى

---

[51] بلانشيه فيليب، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص81.

[52] ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج:2، ص202.

[53] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص362.

معنى التكوين[54] كان نتيجة خرق قاعدة الجهة، فالحال «أننا نوارب عادة في الكلام، فلا يقصد المتكلم دائما ما يقوله حرفيا، ويذهب البعض حتى إلى حد القول إنّ المتكلم لا يقصد أبدا ما يقوله حرفيا...وهكذا تشتمل عملية استيعاب بعض الأقوال على فهم أقوال أخرى نعمد إلى إنشائها على ضوء الأقوال الأولى»[55] .

الخاتمة:

لقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

-إنّ الاستراتيجية التلميحية هي الاستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق.

-التداولية مصطلح فضفاض حمّال أوجه، ولم يتحقق الإجماع بعد حول ماهيتها ومصطلحاتها وفرضياتها وأقسامها.

- الاستلزام الحواري ظاهرة لصيقة باللغات الطبيعية، فهو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر.

- يرى (غرايس) أنّ الممارسات اللغوية نشاط عقلاني يهدف إلى التعاون بين المتخاطبين، لذلك لابد من افتراض توجهات أو قواعد تتدبر السلوك الحواري التواصلي وتسير هذه القواعد بهدي مبدأ شامل أطلق عليه اسم (مبدأ التعاون)، وهو المبدأ الذي يرتكز عليه المرسل للتعبير عن قصده، وينقسم إلى أربع قواعد حوارية: الكم، والكيف، والإضافة أو الملاءمة، والجهة.

- تضعنا النظرية الغرايسية أمام أمرين: إمّا أن نتبع القواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون فتحصل الفائدة وتكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطَب صريحة وحقيقية، وإمّا أن نخرج عنها، ونخرقها فتكون المعاني ضمنية ومستلزمة.

---

[54] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص362.

[55] كيربرات أوريكيوني كاترين، المضمر، ص09-10.

-القرآن الكريم غني جدا بالأساليب التي تخرج عن معانيها الأصلية إلى أخرى مستلزمة يحددها السياق والقواعد الحوارية.

-يتم الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم في الخطاب القرآني عن طريق خرق القواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون.

-لقد أبان العرب والمفسرون بخاصة عن علو كعبهم في مجال الدراسات التداولية، وكان لهم السبق في وطء هذا المجال، فقد أشاروا في كتبهم إلى الطرق والآليات التي يتم عن طريقها الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم.

قائمة المصادروالمراجع:

القرآن الكريم

الكتب:

1_أدراوي العياشي، (2011م)، الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، ط1، دار الأمان، الرباط، المغرب.

2_ أرمنيكو فرانسواز، (1987م)، المقاربة التداولية، ترجمة علوش سعيد، ط1، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب.

3_ إسماعيل صلاح، (2005م)، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

4_ أوريكيوني كاترين كيربرات، المضمر، ترجمة خاطر ريتا، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

5_ بلاشيه فيليب، (2007م)، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة حباشة صابر، ط1، دار الحوار، اللاذقية، سوريا.

6_الجرجاني، (1994م)،دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح محمد عبده، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

7_حجازي عبد الرحمن،(2005م)، الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي دراسة أسلوبية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.

8_الحياني أحمد فتحي، (2014م)، الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالتها البلاغية، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع.

9_دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة يحياتن محمد، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.

10_السرخسي، (1993م)،أصول السرخسي ، حققه: الأفغاني أبو الوفاء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

11_أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق عطا عبد القادر أحمد، مطبعة السعادة، الرياض، السعودية.

12_الشهري عبد الهادي بن ظافر، (2004م)، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا.

13_صحراوي مسعود، (2008م)، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط3، دار التنوير، الجزائر.

14_الطبري، (1994م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

15_ابن عاشور،(1984م)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر.

16_عبد الرحمن طه،(1998م)، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

17_المتوكل أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، المغرب.

مقلات:

1_ بلبع عيد، (2005م)، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع66.

2_ فاخوري عادل،(1989م)، الاقتضاء في التداول اللساني، عالم الفكر، مج20، ع3.

3_مقبول إدريس، (2014م)، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج8، ع2.

4_ملاوي صلاح الدين، (2009م)، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع4.

5_الهويمل باديس، (2013م)، الملازمات بين المعاني في مفتاح العلوم للسكاكي مقاربة تداولية في ضوء نظرية الاستلزام الحواري، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية.